الـــنـــشـــرة

العدد ٢٠٢٠/٣١

الأحد ٢ آب ٢٠٢٠

تذكارُ نقل عِظام القدّيس استِفانوس أوَّل الشُّهَداء ورئيس الشمامسة

اللَّحن السابع

إنجيل السَّحَر الثامن

الرِّسالة

(١كورنثوس ١: ١٠-١٧)

يا إِخْوَةُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ بِاسْمِ رَبِّنا يَسُوعَ المَسيحِ أَنْ تَقُولوا جَمِيعُكُمْ قَوْلًا وَاحِدًا، وأَلَّا يَكُونَ بَيْنَكُمْ شِقاقاتٌ، بَلْ تَكُونوا مُكْتَمِلِيْنَ بِفِكْرٍ وَاحِدٍ ورَأْيٍ واحِد. فَقَدْ أَخْبَرَنِي عَنْكُمْ، يا إِخْوَتِي، أَهْلُ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصومَاتٍ، أَعْنِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ: «أَنا لِبُولُسَ أَوْ أَنَا لِصَفا أَوْ أَنا لِلْمَسِيح». أَلَعَلَّ المَسِيحَ قَدْ تَجَزَّأَ؟! أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لِأَجْلِكُمْ أَوْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ؟! أَشْكُرُ اللهَ أَنِّي لَمْ أُعَمِّدْ مِنْكُمْ أَحَدًا سِوَى كرِسْبُسَ وغايُوس، لِئَلَّا يَقُولَ أَحَدٌ إِنِّي عَمَّدْتُ بِاسْمِي. وعَمَّدْتُ أَيْضًا أَهْلَ بَيْتِ استِفاناسَ، وما عَدا ذَلِكَ فَلا أَعْلَمُ هَلْ عَمَّدْتُ أَحَدًا غَيْرَهُم، لِأَنَّ المَسيحَ لَمْ يُرْسِلْني لِأُعَمِّدَ، بَلْ لِأُبَشِّرَ، لا بِحِكْمَةِ كَلامٍ، لِئَلَّا يُبْطَلَ صَلِيبُ المَسيح.

الإنجيل

(متّى ١٤: ١٤-٢٢)

في ذَلِكَ الزَّمانِ، أَبْصَرَ يَسوعُ جَمْعًا كَثِيرًا، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وأَبْرَأَ مَرْضاهُمْ. ولَمَّا كانَ المَساءُ، دَنا إِلَيْهِ تَلامِيذُهُ وقالوا: «إِنَّ المَكانَ قَفْرٌ، والسَّاعَةُ قَدْ فَاتَتْ، فَاصْرِفِ الجُمُوعَ لِيَذْهَبوا إِلى القُرَى ويَبْتاعوا لَهُمْ طَعامًا». فَقالَ لَهُمْ يَسوعُ: «لا حاجَةَ لَهُمْ إِلى الذَّهابِ، أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلوا». فَقالُوا لَهُ: «ما عِنْدَنا هَهُنا إِلَّا خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وسَمَكَتانِ»، فَقالَ لَهُمْ: «هَلُمَّ بِها إِلَيَّ إِلى هَهُنا». وأَمَرَ بِجُلوسِ الجُموعِ عَلى العُشْبِ، ثُمَّ أَخَذَ الخَمْسَةَ الأَرْغِفَةَ والسَّمَكَتَيْنِ ونَظَرَ إِلى السَّماءِ وبارَكَ وكَسَرَ وأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِتَلامِيذِهِ والتَّلامِيذُ لِلجُمُوعِ، فَأَكَلُوا جَمِيعُهُمْ وشَبِعُوا ورَفَعُوا ما فَضَلَ مِنَ الكِسَرِ، اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءَة. وكانَ الآكِلُونَ خَمْسَةَ آلافِ رَجُلٍ سِوَى النِّساءِ والصِّبْيان. ولِلْوَقْتِ اضْطَرَّ يَسُوعُ تَلامِيذَهُ أَنْ يَدْخُلوا السَّفِينَةَ ويَسْبِقُوهُ إِلى العَبْرِ حَتَّى يَصْرِفَ الجُمُوع.

التجلّي في حياتنا

تُعيّد كنيستنا المقدَّسة، في السادس من شهر آب، لعيد تجلّي ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح على جبل ثابور أمام تلاميذه: بطرُس ويعقوب ويوحنّا. نقرأ عن حدث التجلّي في (مت ١٧: ١-٩؛ مر ٩: ٢-٩؛ لو ٩: ٢٨-٣٦)، وكيف ظهر النبيَّان موسى وإيليّا حول الربّ يسوع الّذي «أضاءَ وجهُه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنّور».

وَضعَ تقليدُنا الكنسيّ أن تتمّ مباركةُ ثمر الكرمة، أي العنب، في نهاية قدّاس هذا العيد المبارك. إذا انطلَقنا مِنَ العِنَب، يمكننا فَهم كيفيَّة إظهار تجلّي الربّ في قلوبنا وفي حياتنا كمؤمنين مسيحيّين.

يُصنَع من العنب إمَّا الخمر أو الخلّ، وكلاهُما مَذكور في الكِتاب المُقَدَّس. كتابيًّا، يدلُّ الخَمرُ على الفرح والتَّنَعُّم بالمَلَذَّات. عندما كان اللهُ يَمنَعُ الخَمرَ عن شعبه، كان ذلك دلالةً على الغضب الإلهيّ والقصاص النازل من السَّماء على شَعبٍ التصَقَ بفرحٍ تملأه الخطيئة، بدلًا من الفرح الطاهر المملوء من الشُّكران لله على عطاياه. فقد كانَ يمنَع عنهم الخمر، أي يكبحهم عن الاستسلام إلى فرحٍ نَجِسٍ، لِيُعَلِّمَهُم كيف يفرحون فرحًا مقدَّسًا، ثمَّ يعيدُ إليهم ثمرَ الكَرمِ ليصنعوا منه خَمرًا مُفَرِّحًا القلوب، لا الأجساد. إذا تذكَّرنا قصَّة أيّوب الصدّيق، فقد كان أبناؤه وبناتُه يجتمعون ليأكلوا ويشربوا (يسكروا)، وكان هو يقدِّم عنهم ذبيحةً بعد تمامِ أيَّام وليمتهم قائلًا: «رُبَّما أخطأ بَنِيَّ وجدَّفوا على الله في قلوبهم» (أي ١: ٤-٥).

أمَّا الخلّ، فَإنَّ أبرز موضع نسمع عنه في الكتاب المقدَّس هو عند الصَّلب، عندما قال المسيح المصلوب إنَّه عطشان، فجاؤوه أوَّلًا بخلٍّ ممزوجٍ بالمرّ (مت ٢٧: ٣٤؛ مر ١٥: ٢٣)، ثمّ بإسفنجةٍ عليها خلّ مخفَّف ممزوجٍ بماء، من الذي كان الجنود يشربونه ليرووا عطشهم (مر ١٥: ٣٠؛ يو ١٩: ٢٩-٣٠). طَعمُ الخَلِّ حادّ، يختلف عن طَعم الخَمر، هذا ما يجعلُ مِنَ العنبِ ذا وجهَينِ: حلوٌ ومرّ، مثل حياةِ الإنسان. فكيفَ يتجلَّى الله في حياةِ المسيحيّ بِحُلوِها ومُرِّها؟

كثيرون منّا، خصوصًا في عمر الشباب، يسعَون إلى فرحٍ وقتيّ، زمنيّ، بعيدًا عن الربّ، وحجَّتهم هي أنَّ الحياة على هذه الأرض تُعاشُ مرَّةً واحدة، فَلِمَ لا يُستَفاد منها لتجربة كلّ شيءٍ يمنح الإنسان فرحًا ولذّة. يتعلَّقونَ بشرب الخمر، والبعض يدمنُها، فتكون النتائج كارثيّة. عائلاتٌ تنهار بسبب إدمان الأب أو الأمّ على شرب الخمر، فيتحمَّل الأبناء العواقب الوخيمة. يَظُنُّ البَعض أنَّ الفرح في الحياة يعني عيش الخطايا والملذّات على أنواعها، بَينما يُدرك المسيحيّ المؤمن أنَّ الفرح يأتي من لَدُنِ الله: «لأنّه به تفرح قلوبنا، لأنّنا على اسمه القدّوس اتّكلنا» (مز ٣٣: ٢١)، «إفرحوا أيُّها الصدّيقون بالربّ» (مز ٩٧: ١٢)، «فإنّي أبتهج بالربّ وأفرح بإلهِ خلاصي» (حب ٣: ١٨). عندما يكون الربّ محور حياتنا، نسكرُ بـ«عصير الكرمة الجديد» الذي نغرفُ منه مُحتفلين بالقيامة البهيّة. عندما يرى النَّاسُ شخصًا سكِّيرًا، يهربون وينفرون منه، لأنَّه يسبّب لهم الألم والحزن من خلال كلامه وتصرّفاته، حتّى إنَّهم يلومون الله أحيانًا لأنَّه خلق بشرًا مثلَ هذا. أمَّا عندما يصادف النَّاس شخصًا «سكرانًا بالله»، أي ممتلِئًا مِنَ الفرح الإلهيّ النَّابع من قلبٍ يسكنه الربّ، فَإنَّ هذا الشَّخص يُصبِحُ كجَبَلِ ثابور، يتجلَّى المسيحُ من خلالِه ومن خلال أقواله وتصرُّفاتِه، فيكونُ نورًا يجذب الآخرين إلى أحضان الله.

أيضًا، ثمّة كثيرين يعيشون حياةً شبيهةً بمرارة الخلّ. هؤلاء يُقسَمون قسمَين. القسم الأوّل

يرى في الألم والمرارة نهايةَ العالم، فييأس ويُلقي باللّوم على الربّ متّهِمًا إيّاه بعدمِ الشفقة والرّحمة، وربّما يصل إلى حدّ الانتحار. أمَّا القسم الثاني فيثق بالربّ القائل: «لا ينزع أحدٌ فرحَكم منكم» (يو ١٦: ٢٢)، «في العالم سيكون لكم ضيقٌ، ولكن ثقوا: إنّي قد غلبتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣). عندما عاش القدّيس سلوان الآثوسيّ حالةً من اليأس القاتل، سَمِعَ صَوتَ الربّ يقول له: «إحفظ نفسَكَ في الجحيم ولا تيأس». الخلّ، متى زيدَ عليه الزّيت، يُصبح دواءً شافيًا للآلام والجراح؛ هكذا، عندما نزيد على مرارة خلّ حياتنا زَيتَ شَفَقَةِ الربّ ورحمته، تُصبِح حياتُنا مليئةً بالبركة، ومنارَةً تسطع بنور تجلّي المسيح في حياتنا.

يُعَلِّمُنا تَجَلّي الربّ أن نَكونَ منارَةً تَنقُلُ النورَ الإلهيّ في حياتِنا، إن في الفَرَحِ أو في المرارة. لذا، لا يكفي أن نَطلب إلى الربّ أن يشدِّدنا، ويشعّ بنورِهِ المقدَّس علينا، إنَّما علينا العمل على تنظيف قنديل حياتنا، ليصبح قادرًا على نقل هذا النّور المُبهِج إلى جميع الّذين حولَنا. علينا أن نُجاهِدَ في الألم وألّا نيأس، وألّا نَسكَرَ في الفرح وننسى الربّ. هكذا نُصبِحُ عِنَبًا، إذا عُصِرَ، يُنتِجُ خَمرًا لَذيذًا يُفَرِّحُ النُّفوسَ ويُبَلسِمُها.

المَزمور الثاني والستّون

هو المزمور الثالث الذي يُقرأ في بداية صلاة السَّحَر، ضمن مجموعةٍ من ستَّة مزامير معروفة بمزامير الدَّينونة. خلال قراءة هذه المزامير، لا يجلس المؤمن، بل ينتصب بانسحاقٍ وتواضعِ قلبٍ مقِرًّا أمامَ الله بأنَّهُ إنسانٌ خاطئ.

كتبَ هذا المزمور الملك داود، عندما كان هاربًا من الملك شاول، وقد عبّر فيه عن اشتياقه لله وللوقوف أمامه. لقد وضعت كنيستنا هذا المزمور في بداية صلاة السَّحَر، لأنّ شاول الملك يمثّل الخطيئة التي يحاول المؤمن الهروب منها. فكما هرب داود من الملك الأرضيّ، كذلك يهرب الإنسان من الخطيئة التي يلاحقه بها الشيطان المُضلّ. يحاول الإنسان، بوقوفه أمام الله، أن يهرب من معاصيه ومن الأفكار الدنيويّة، ليرتقي بالعقل والذِّهن نحو الله. لقد عبّر داود عن اشتياقه لله، وهنا يعود المؤمن من غربته الأرضيّة إلى الله الذي يضع بين يديه القلب والعقل، ويغتذي من رحمته الإلهيّة العظمى.

يعبّر داود، في الآية الأولى، عن وضعنا. نحن نلتجئ إلى الله باكرًا جدًّا «يا الله إلهي إليكَ أبتكر»، إذ مثلما يهرع الإنسان لشرب الماء عند استيقاظِه، كذلك يُسرِعُ نَحوَ الربّ بعدَ مروره في ليلِ العالم الذي يصيبُ النَّفسَ بالعطش إلى الخالق. أيضًا، كما أنّ الجسد يتوق إلى فراشٍ يستلقي عليه «في أرضٍ بريّةٍ وغير مسلوكةٍ»، كذلك يتوق جسد الإنسان، وسط تجارب هذا العالم، إلى الله الذي هو الفراش والمتّكأ الذي يريح الإنسان وسط عواصف العمر الخدّاع.

أيضًا، يشير كاتب المزمور، في هذه الآية، إلى علاقةٍ شخصيّةٍ مع الله حين يناديه «إلهي». إنّنا واقفون أمام الله، وليس أمام ملكٍ أرضيٍّ أو طاغيةٍ من طغاة هذا العالم. نقف أمام ملكٍ نعرفه وتجمعنا به علاقةٌ شخصيّةٌ بَنَويّة. إنَّه إلهنا وأبونا،

ونحن أبناؤه الّذين نسعى إلى أن نكون أبناء صالحين من خلال التوبة.

يعترف داود، وسط الموت الذي كان يلاحقه، بأنّ رحمة الربّ أهمّ من كلّ حياةٍ نتوق إليها في العالم الفاني: «رحمتك أفضل من الحياة». نحن نعيش وسط عالم تحاربنا فيه الخطيئة محاولةً اقتناصنا من حضن الآب. لذلك، فإنَّ الموت المصحوب بتوبةٍ حقيقيّة يجعلنا نستأهل رحمته. يقف الإنسان أمام الله، طالبًا الرحمة والمغفرة ومسبّحًا بقولِه: «وشفتاي تسبّحانك». يحني المؤمن رأسَه ويرفع نَفسَه نحو الله، طالبًا الرحمة الإلهيّة التي تقوده نحو الملكوت وتمنحه الخلاص، فيتذوّق الفرح الملائكيّ بتسبيح الله. كلّ حياةٍ بعيدًا عن الله هي موتٌ، وكلّ حياةٍ بلا توبة لا تأتينا بالرحمة الإلهيّة، لأنّ التوبة هي سبيلنا نحو تمييز فعل الرحمة الإلهيّة ومفاعيلها على الإنسان.

كلُّ تسبحةٍ لائقة بالربّ تغذّي الروح والعقل وتحوّلُ الضعفَ قوّة: «وباسمك أرفع يديّ، فتمتلئ نفسي كما من شحمٍ ودسم». صار تسبيح الربّ بالنسبة إلى داود كتناوُلِ اللَّحم الذي غذّاه في الغربة، كما صار ضعفُ هروبه في البريّة قوّةً وغذاءً لَه حين رفع عِيْنَيْ جسده وقلبه نحو الله.

الهروب يملأه الخوف، أمّا داود فتقوّى بذكر اسم الله. إختبر الصلاة ومناجاة الله قبل النوم: «على فراشي»، أي قبل أن يريح جسده، فكانت هذه الخبرة قوّةً له في الصباح: «هذذتُ بكَ في الأسحار لأنّك صرتَ لي عونًا». كان الله معينًا له في أحلَكِ الظُّروف، لذا لم يعد داود، أمام هذه الخبرة، مجرّد محبٍّ لله، بل صار ملتصقًا به كالتصاق الطفل بأمّه. الله يستجيب صلواتِنا كلّ حينٍ، ويعضدنا فيصير معينَنا وغذاءَنا وقوّتَنا. هذا ما يسعى إليه المؤمن من خلال إتمام الصلوات اليوميّة الشخصيّة والجماعيّة. الروح تطلب الصلاة، مثلما يطلب الجسد الطعام، تائقةً إلى الربّ وإلى الراحة النابعة منه. هكذا، تصير الصلاة لنا نمطَ حياةٍ، لا واجباتٍ نتمّمها مع الله كأنَّه غريبٌ أو مَلِكٌ من هذا العالم.

أمام هذا العضد الإلهيّ، أدرك داود أنّ أعداءه إلى زوال. هكذا الإنسان، الذي يضع رجاءه على الله، تصير الخطيئة أمامه كالتراب الذي تذرّيه الريح. كلّ من يؤذي نفسَ إنسانٍ ملتصقٍ بالله حقًّا، مصيره الزوال والهزيمة؛ فبقدر ما ألتصق بالله وأضع رجائي عليه، بقدرِ ما أنتصر بيمينه التي تعضدني.

كلّ خطيئةٍ يَقتَرِفُها الإنسان المؤمن، بالقول أو بالفعل أو بالفكر، تزول حين يقف أمام الله بخوفٍ، معترفًا بخطاياه، فتمدحه الملائكة وأجواق القدّيسين: «يُمتدح كلّ من يحلف به». أمّا المنافقون فيسقطون أمام توبة المؤمن التي لم يدركوها. لذا، يبدأ المؤمن نهاره بقلبٍ منسحق، متشبّهًا بتوق داود إلى الله وبتوبته المانحةِ الخلاص.

للإطِّلاع على أخبار الأبرشيّة

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb